سلسلة الرسائل (٣٥)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

# السبيل إلى توفيق الله


للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

alwadei967.blogspot.com
telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد.

يجب أن نعلم أنَّ من عقيدتنا أن التوفيق بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فما كان من خيرٍ فبتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ، وما كان من ترك شر فبتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ، (فَالْعَبِيدُ مُتَقَلِّبُونَ بَيْنَ تَوْفِيقِهِ وَخِذْلَانِهِ)(١).

قال نبي الله شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم في «مدارج السالكين»(١/ ٤١٤): لَا سَبِيلَ إِلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَلَا وُصُولَ إِلَى مَرْضَاتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ، فَمَوَارِدُ الْأُمُورِ كُلُّهَا مِنْهُ، وَمَصَادِرُهَا إِلَيْهِ، وَأَزِمَّةُ التَّوْفِيقِ جَمِيعُهَا بِيَدَيْهِ، فَلَا مُسْتَعَانَ لِلْعِبَادِ إِلَّا بِهِ، وَلَا مُتَّكَلَ إِلَّا عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ شُعَيْبٌ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿ ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[هود: ٨٨].

وفي «صحيح مسلم»(١٣) عن أَبي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ -أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ -أَوْ يَا

(١) ما بين القوسين من كلام ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٤١٥).

مُحَمَّدُ-أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ».

«لَقَدْ وُفِّقَ» وُفِّقَ في طرح هذا السؤال العظيم.

وهذه الخصال «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» من أسباب دخول الجنة والبعد عن النار، أعاذنا الله من النار ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد شَهِدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهذا الأعرابي بالتوفيق، حيث سأل عن هذا السؤال العظيم، وهذه كانت أسئلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أسئلة علمية شرعية دينية، لا يسألون إلا عن الجنة، ولا يريدون إلا إياها.

أخواتي في الله، كلنا نطلب التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ في أمور ديننا ودنيانا، ونكرر كلمة عظيمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» التي قال عنها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «كَنْز مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» (٢).

(٢)عن أبي موسى الأشعري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

فينبغي أن نسابق إلى هذه الكلمة العظيمة، ليست من كنوز الدنيا، لو قيل للناس: الذي يكرر هذه الكلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» يأتيه كنز من الذهب أو من الفضة عاجلًا، لوجدنا الجميع الرجال والنساء والكبار والصغار كلهم يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ ذلك لأن طبيعة الإنسان العجلة، عجلة الأجر والمثوبة، كما قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ [الإنسان: ٢٧]. يحبون العاجلة يحبون الذي يأتيهم في عجلة ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [١١: الإسراء]. يحبون ما يأتيهم وما يتناولونه بأيديهم ويكون في قبضتهم.

فـ«لا حول ولا قوة إلا بالله» كنز من كنوز الجنة، وفيها معنى التوفيق؛ لأن معنى:

«لا حول» أي: لا تحول لنا عن معصية الله، على أحد المعاني.

«ولا قوة» أي: لا قوة لنا على طاعة الله إلا بالله.

ومعنى التوفيق: أَلَّا يَكِلَكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَالْخُذْلَان هُوَ: أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ(٣).

من خذله الله وتركه وكلَهُ إلى نفسِهِ، مَن لم يُعِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا ناصر له، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران].

(٣) يراجع «مدارج السالكين» (١/ ٤١٥) لابن القيم.

إن من وفقه الله هيَّأ له طريق الخير وسدَّده في أقواله وأفعاله وتصرفاته.

ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٤).

ومعنى هذا الحديث: أن الذي يزداد تقربًا إلى الله بالطاعات يوفقه، ويجعل له نورًا يمشي به، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ [الحديد: ٢٨].

وهذه هي هداية التوفيق والإلهام التي تستلزم الاهتداء، وهي الهداية الخاصة التي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنها: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ ﴾[النور: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ [الكهف: ١٧].

وهي الهداية المنفية عن غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يملكها ولا يقدر عليها إلَّا الله وحده، لا يملكها ملَكٌ مقرَّبٌ ولا نبي مُرسل، وغيرهم من باب أولى.

---

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٢).

وهذه الهداية أنكرها المعتزلة، وقالوا بنفي خلق الله لأفعال العباد، وأخرجوها عن مشيئة الله وقُدرتِهِ، وقالوا: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَهدي ولا يُضل، وقولهم منكر باطل، قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات: ٩٦](٥).

هداية التوفيق يسأل كلُّ مصَلٍّ ربَّهُ في كل ركعة أن يرزقه إياها ويقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾(٦).

وهذا دليلٌ على أهميَّة الدعاء بالهداية، قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورةِ الفاتحة: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَسْأَلُ الْمُؤْمِنُ الْهِدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟

---

(٥) وقد جاء عن كثير من الأئمة منهم الشافعي: ناظِرُوا القدريَّةَ بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصِموا وإن جَحدوا به كَفروا.

(بالعلم) أي: العلم السابق.

(خُصِموا) لأنهم وافقوا قول أهل السنة، لأن الله عَزَّوَجَلَّ إن كان عَلِم به فقد أراده.

قال الحافظ في «فتح الباري» تحت رقم (٥٠): يَعْنِي يُقَالُ لَهُ: أَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِي الْوُجُودِ خِلَافُ مَا تَضَمَّنَهُ الْعِلْمُ، فَإِنْ مَنَعَ وَافَقَ قَوْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِنْ أَجَازَ لَزِمَهُ نِسْبَةُ الْجَهْلِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وقال ابنُ القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حاشية كتاب التوحيد»: يعني: إن أنكروا العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأنه في كتاب حفيظ فقد كذَّبوا القرآن، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وأرادها فقد خُصموا؛ لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروا.

(٦) ويدخل أيضًا في هذه الآية هداية الدلالة والإرشاد، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الفاتحة: والمراد بـ الهداية هداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فأنت بقولك: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ تسأل الله تعالى علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا.

فَالْجَوَابُ: أَنْ لَا، وَلَوْلَا احْتِيَاجُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سُؤَالِ الْهِدَايَةِ لَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَثْبِيتِهِ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَرُسُوخِهِ فِيهَا، وَتَبَصُّرِهِ، وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالْمَعُونَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِسُؤَالِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَلَا سِيَّمَا الْمُضْطَرُّ الْمُحْتَاجُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ﴾الْآيَةَ [النِّسَاءِ: ١٣٦]، فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّبَاتُ وَالِاسْتِمْرَارُ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(٧).

**وهناكَ علاماتٌ لتوفيقِ اللهِ للعبدِ نذكرُ ما يسَّرَ اللهُ منها:**

---

(٧) والهداية على أربعة أقسام:

- هداية عامة: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].
- هداية توفيق وإلهام من الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].
- هداية دلالة وإرشاد: قال الله لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ عن القرآن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].
- هداية غاية: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أهل الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩]، وقال عن أهل النار: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات].

**إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ.** قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

قال والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في «السير الحثيث شرح مختصر علوم الحديث»(٢٨٧): ولن يبارك الله، ولن يوفِّق الله أيضًا شخصًا إلا إذا كان مخلصًا لله، نسأل الله العظيم أن يرزقنا الإخلاص، وأن يعينَنا على أنفسِنا.

**التمسك بكتاب الله وسنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**، قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

ويقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٨).

فهذا من علامة التوفيق التمسك بالكتاب والسنة، الاستقامة على الصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا زيغ.

وقد قال ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ. رواه الدارمي في «سننه» (٩٧).

---

(٨) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٢٨٠) عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إن هذه كرامة عظيمة أن يكون الإنسان متمسكًا بكتاب الله وسنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، يهتدي بهداه، ويستضيء بضيائه ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فهذه كرامة عظيمة والله، وخاصة إذا كان الأب والأم والأولاد والأقرباء كلهم أهل سنة.

وقد جاء عن أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ (٩).

(الْحَدَثِ) الصغير، الصغير ينشأ على السنة، ويتربى على سنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، يغرس أهلُهُ في قلبه العقيدة الصحيحة، عقيدة الأنبياء والمرسلين، ينشأ نشأة حسنة من صغره هذا من علامات التوفيق والسعادة، أن ينشأ من صغره بين أسرة سنية، بين أسرة صالحة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلَنَا أُسَرًا صالحة متمسكة بالكتاب والسنة.

فهذا من علامات التوفيق التمسك بالسنة، لا اتباع أهواء، ولا حزبية، ولا فُرقة، ولا طائفية، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحيينا على السنة، وأن يتوفانا على السنة.

فلنثبت على كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ لننال توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لنا.

علينا أن ننصر سنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونغار عليها.

---

(٩) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/رقم ٣٠).

وقد سمعت والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: سنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لن نتركها ولو تعاضضنا بالأسنان.

وهذا من الثبات على السنة؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١٠).

وذكر النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث النواجذ، وهي آخر الأسنان؛ لأن هذه تثبت، قوية، نزعُها صعب، بخلاف التي في الأمام قد تسقط وتطيح من أدنى شيء، فالثبات على السنة، الثبات في منهجنا، في هدينا، في عقيدتنا، في لباسنا، في أقوالنا، في أفعالنا، في حركاتنا وسكناتنا ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

ومن علامات التوفيق: الحرص على العلم النافع، نحرص على قراءة القرآن وحفظه، وعلى التفقه في ديننا، هذا من علامات التوفيق، روى البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

---

(١٠) رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٠٧) عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (٩٢١) لوالدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا عين التوفيق يا من تشتغلين بتعلم كتاب الله وسنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ليست العلوم الدنيوية، فقد ذم الله عَزَّوَجَلَّ الكفار: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم].

ودلت هذه الآية الكريمة: أن الدنيا لها ظاهر وباطن.

أما الظاهر فهو زينتها وزخارفها وبهجتها، وهذه التي يعرفها الكفار.

وأما باطن الدنيا ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أثبت الله عَزَّوَجَلَّ للدنيا باطنًا، وهو معرفة حقيقة الدنيا وحقارتها وسرعة فنائها وزوالها، وهذا لا يعرفه إلا من وفقه الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يشتغل بالدنيا وفتنتها وحطامها، وقليلٌ ما هم.

فمن علامات التوفيق: الإقبال على العلم النافع، الصغير والكبير الرجل والمرأة يتعلمون كتاب الله ويتعلمون سنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، هذه سعادة لا نظير لها، لا يشارك في هذه السعادة، ولا ينال هذه السعادة وهذا النعيم إلا من كان على هذه الشاكلة.

فليكن على ألسنتنا تلاوة القرآن، تذليل الألسن لتلاوة القرآن، وكلما أدمن التالي لكتاب الله ذَلَّ لسانه للتلاوة وسهل عليه، ولا يلين اللسان للتلاوة إلا بالتكرار، وببذل الأوقات، هنا يجد لسانًا سلسًا لينًا للتلاوة، قال الحافظ في «فتح الباري»(٥٠٣١): الَّذِي يُدَاوِمُ عَلَى تلاوة القرآن يُذَلُّ لَهُ لِسَانُهُ، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهُ، فَإِذَا هَجَرَهُ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ وَشَقَّتْ عَلَيْهِ.

لا يقف عن تلاوة القرآن، هذا الذي ينال لذة التلاوة، وينال انشراح الصدر، الذي يكثر الذي يكرر تلاوة القرآن، هذا الذي يلين له ولا يستثقل تلاوة القرآن.

وهذا هو الذي ينبغي أن يُغبط كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»(١١).

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار.

ومن علامة التوفيق: أن يشعر بطمأنينة وحلاوة وتأثُّر بتلاوة القرآن وسماعه.

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصاحين»(١/ ٥٤٥): إذا رأيت من نفسك أنك كلما تلوت القرآن ازددت إيمانًا؛ فإن هذا من علامات التوفيق، أما إذا كنت تقرأ القرآن ولا تتأثر به، فعليك بمداواة نفسك.

ومن علامات التوفيق: أن يكون عند النفس اندفاع للعبادة والطاعة، هذا من علامة التوفيق، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ»، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ»(١٢).

وهذا من علامات حسن الخاتمة، أن يكون الإنسان على عمل صالح ومندفع للخير، ويختم له على ذلك.

---

(١١) رواه البخاري (٧٥٢٩) مسلم (٨١٥) عَنْ عبدالله بن عمر.

(١٢) رواه عبد بن حميد في «المنتخب»(٤٨١) عن عَمْرَو بْن الْحَمِقِ، وهو في «الصحيح المسند» (١٠٠٤) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ» أي: يموت ومن حوله راضٍ عنه من أبنائه وأهله وأقربائه، يموت وأسرته وجيرانه عنه راضون، يثنون عليه، يترحمون عليه، يدعون له، هذه بشارة حسنة، هذا من علامات حسن الخاتمة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحسن لنا الخاتمة.

أما التثاقل عن العبادة فهذا دليل الحرمان، يقوم إلى الصلاة، الذكر، قراءة القرآن، البِرِّ بتثاقل.

**محاربة الشيطان من توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والقليل من يدرك عداوته فيحذره ويحذر اتباع خطواته، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [النور: ٢١].

ومحاربته تكون بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، بترك المعاصي، بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، بالمسابقة إلى الخير، بقراءة القرآن، بالعبادة، وهذا عين التوفيق، فلا نغفل عن هذا العدو، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر].

هذا العدو الذي هو للعباد بالمرصاد يترقَّبُ غفلاتهم، يترقَّبُ ضعفَهُم، يترقَّبُ شِدَّتَهُم وكُرْبَتَهُمْ؛ لأنه قد يجد بُغيته-والعياذ بالله-في حالة الضعف، في حالة مرضٍ، موت قريب، مصيبة من المصائب، أو حادث من الحوادث، فنعوذ بالله من شر الشيطان وشركه(١٣).

---

(١٣) ويراجع «الأمان من مكائد الشيطان» لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**من علامات التوفيق أيضًا:** الجليس الصالح، فمن قيَّض الله له جليسًا صالحًا فقد ساق الله عَزَّوَجَلَّ له رزقًا طيبًا؛ لأن الجليس الصالح نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، يذكره إذا نسي، يعلمه إذا جهل، ينصحه إذا غفل، بخلاف جليس السوء لا يجد منه إلا ريحًا منتنة، وقد ضرب النّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ للجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير روى البخاري (٥٥٣٤) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٨) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

«إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ» يعني: يعطيك هدية.

«وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ» تشتري منه.

«وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً» تصلك رائحة المسك، المسك الذي هو أطيب الطيب كما قال النّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ (١٤).

أما جليس السوء فشبهه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنافخ الكير في قوله: «وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» هذا شأن جلساء السوء أنهم يشجعون على المعاصي، يهونون المعاصي، مضيعةٌ للأوقات، لا يعرفون قدر الوقت.

---

(١٤) روى مسلم (٢٢٥٢)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا».

فالجليس الصالح نعمة من الله سُبحَانَهُ.

عَنِ المَرْءِ لَا تَسَأْلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ❁ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

والصاحب ساحب، والطبع من عادته سراق، فمجالسة الغافلين طريق الشر وطريق الغفلة والفتن، جلساء السوء وجليسات السوء يبعثون في النفوس التنافس في الدنيا، والتنافس في الدنيا مهلكة، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ العافية.

وقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ عن أهل الجنة وهم يتساءلون وكان أحدهم له جليس سوء أراد أن يغويه، ولكنه ثبت، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن من حديث أهل الجنة: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ ﴾ أي: مبعوثون، ثم قال لأهل الجنة: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ ﴾ جليس السوء رآه المؤمنُ في وسط النار، ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ ﴾ أي: كدت أن تهلكني بغرورك، بتلبيسك، بفتنتك، ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ ﴾ [الصافات: ٥٠-٥٧].

عزا النعمة إلى الله، وهذا من الآداب عزو النعمة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك بنعمة فأضيفيها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ ﴾.

فانظري حفظك الله خطر جليس السوء، خطر مجالسة أهل الغفلة، خطر مجالسة أهل الدنيا، فلهم تأثير شديد على الدين وعلى القلب، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا مجالسة الصالحين.

**ومن علامة توفيق الله لِلْأُسَر**: أن تكون الأسرة صالحة، والقليل مَنْ يُوفَّقُ.

قال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إصلاح الأُسَر أمر مهم.

الأسرة الصالحة رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقَلَّ من يحصل له أسرة صالحة، فقد كان لوط وهكذا نوح كانت امرأتهما تخونهما، قَلَّ من يُوفَّق(١٥).

وإذا كانتِ الأسرة صالحة تنزل عليها السكينة والخيرات والمسرَّات، بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ويتربَّى الأولاد على السنة والأخلاق والمبرَّات، ويتعاونون على الخير والبِرِّ والتقوى.

ينبغي أن نعرف حفظكن الله ما هي علامات التوفيق؛ لنسلكها، وما هي علامات الخذلان أعاذنا الله منها؛ لنجتنبها.

**وإن من علامات الخذلان وعدم التوفيق:**

الحسد، الذي يكون في جوفه حسد، هذا من علامات عدم التوفيق، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يطهر قلوبنا، وأن يصلحها.

ربنا عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]. فهذا من علامات عدم التوفيق: أن يكون الإنسان في داخله مرض الحسد.

---

(١٥) [ش/بر الوالدين لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

**عقوق الوالدين**، قال تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[الأحقاف: ١٥].

قال والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (العاق) ربما لا يُوفَّق، ييسر الله له بولد عاق، يذيقه المَرَّ كما أذاق المَرَّ أبويه(١٦).

**المعاصي**، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد»(٣٢) في ذكْرِ أضرار المعاصي: قلّة التَّوْفِيق، وَفَسَاد الرَّأْي، وخفاء الْحق، وَفَسَاد الْقلب، وخمول الذّكر، وإضاعة الْوَقْت، ونفرة الْخلق، والوحشة بَين العَبْد وَبَين ربّه، وَمنع إِجَابَة الدُّعَاء، وقسوة الْقلب.

ومحق الْبركَة فِي الرزق والعمر، وحرمان الْعلم، ولباس الذُّلِّ، وإهانة الْعَدو، وضيق الصَّدْر، والابتلاء بقُرناء السوء الَّذين يفسدون الْقلب ويضيعون الْوَقْت، وَطول الْهم وَالْغَم، وضنك الْمَعِيشَة، وكسف البال تتولَّد من الْمَعْصِيَة والغفلة عَن ذكر الله، كَمَا يتولّد الزَّرْع عَن المَاء والإحراق عَن النَّار، وأضداد هَذِه تتولّد عَن الطَّاعَة.

فعلينا أن نتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من المعاصي، ولا نستصغر ولا نحتقر أي معصية، لا صغيرة ولا كبيرة؛ فإن المعصية من أسباب الخذيلة، قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى].

---

(١٦) [ش/بر الوالدين لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

إذا رأيت وحشة في قلبِك، وقلقًا في حياتك، وعدم بركة في أوقاتِك تداركي نفسك، قد يكون هذا بسبب المعصية، ونستغفر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما نعلم وعما لا نعلم من ذنوبنا، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتوب علينا، وأن يغفر لنا.

وبالمعاصي يقرب الشيطان من العاصي، وتتوارد المعاصي؛ لأن المعصية تجر إلى معصية، فتتوارد المعاصي وقد يصل إلى حالة يستحوذ عليه الشيطان، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[المجادلة: ١٩].

وهنا كلمات مباركات لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مفاتيح التوفيق والخُذلان نذكرها؛ لاستفادتِهَا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد»(٩٧): إِذا كَانَ كل خير فأصله التَّوْفِيق، وَهُوَ بيد الله.. لَا بيد العَبْد.

فمفتاحه: الدُّعَاء، والافتقار، وَصدق اللجأ، وَالرَّغْبَة، والرهبة إِلَيْهِ.

فَمَتَى أَعْطى العَبْد هَذَا الْمِفْتَاح فقد أَرَادَ أَن يفتح لَهُ، وَمَتى أضلّه عَن الْمِفْتَاح بَقِي بَاب الْخَيْر مُرْتَجًا دونه، قَالَ أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر بن الْخطاب: إِنِّي لَا أحمل همَّ الْإِجَابَة وَلَكِن همَّ الدُّعَاء(١٧).

فَإِذا أُلهمت الدُّعَاء؛ فَإِن الْإِجَابَة مَعَه.

وعَلى قدر نية العَبْد وهمَّته وَمرَاده ورغبته فِي ذَلِك يكون توفيقه سُبْحَانَهُ وإعانته.

---

(١٧) يُنظر في حالِهِ.

فالمعونة من الله تنزل على الْعباد على قدر هِممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم.

والخذلان ينزل عَلَيْهِم على حسب ذَلِك. فَالله سُبْحَانَهُ أحكم الْحَاكِمين وَأعلم الْعَالمين، يضع التَّوْفِيق فِي موَاضعه اللائقة بِهِ، والخذلان فِي موَاضعه اللائقة بِهِ، هُوَ الْعَلِيم الْحَكِيم، وَمَا أُتِي من أُتِي إِلَّا من قِبَل إِضَاعَة الشُّكْر، وإهمال الافتقار وَالدُّعَاء، وَلَا ظفر من ظفر بِمَشِيئَة الله وعونه إِلَّا بقيامه بالشكر وَصدق الافتقار وَالدُّعَاء. وملاك ذَلِك الصَّبْر؛ فَإِنَّهُ من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد، فَإِذا قطع الرَّأْس فَلَا بَقَاء للجسد.

أيها الأخوات علينا بأن نقدم لأنفسنا ما تقر به أعيننا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فلنتهيأ للآخرة، ولنعِدَّ أنفسنا ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولنذكِّر أنفسَنا أننا بعد رمضان المبارك ينبغي أن نحرص أن نكون على خير، كما كان عندنا من الاندفاع ومحبة الخير في رمضان؛ فإن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ لا تنقضي بانقضاء رمضان ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وربنا عَزَّوَجَلَّ أيضًا يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢].

هذا فيه حث على الثبات على ما كنا عليه، ففي رمضان الناس مسابقون إلى الخير، إلى القيام، إلى الصيام، إلى الصدقات، حذرون من المعاصي، الصائم يمسك لسانه، في غاية الحذر من لسانِهِ حتى يسلم له صيامه، لا يغتاب، ولا يكذب، ولا يقع في نميمة، يحافظ على

صومه، والمعصية معصية في رمضان وفي غير رمضان، ولكنها أشد في رمضان، ومن أسباب نقص أجر الصيام، فما تعودتِ عليه أختي في الله من الخير في شهر رمضان احرصي عليه أو ما يقاربه في بقية الشهور، ولا تفرطي في أيامك، فالأيام قليلة، وجاهدي فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قد يكون عند المرأة انشغالات ومسؤولية وأطفال لكن ابذلي الجهد، والله سُبحَانَهُ سيسخر لك الطريق بإذن الله، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الله يسخر الطريق ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾.

قيام الليل لا تفرطي فيه، قومي ما تيسر، قيام الليل ما ينتهي برمضان، قراءة القرآن، الصيام ما تيسر حتى ولو بعض الأيام، صوم يوم واحد بمنزلة صيام عشر أيام، والله يضاعف لمن يشاء، فسبحان ربي كيف أنعم علينا بسعة طرق الخير، والمحروم من حرمها، نعوذ بالله أن نكون من المحرومين.

وإليكِ بعض أدعية سؤال الله التوفيق، فاحرصي عليها:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»(١٨).

(١٨) رواه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣)عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ»(١٩).

«رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»(٢٠).

«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»(٢١).

---

(١٩) رواه مسلم (٢٧٢٥).

وفي رواية أخرى له: «قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح صحيح مسلم»: أَمَّا السَّدَادُ هُنَا بِفَتْحِ السِّينِ، وَسَدَادُ السَّهْمِ تَقْوِيمُهُ.

وَمَعْنَى سَدِّدْنِي: وَفِّقْنِي وَاجْعَلْنِي مُنْتَصِبًا فِي جَمِيعِ أُمُورِي مُسْتَقِيمًا، وَأَصْلُ السَّدَادِ الِاسْتِقَامَةُ وَالْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ.

وَأَمَّا الْهُدَى هُنَا فَهُوَ الرَّشَادُ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ.

وَمَعْنَى «اذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقِ والسداد سداد السهم»: أي: تذكَّر ذلك فِي حَالِ دُعَائِكَ بِهَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ؛ لِأَنَّ هَادِيَ الطريق لا يزيغ عَنْهُ، وَمُسَدِّدَ السَّهْمِ يَحْرِصُ عَلَى تَقْوِيمِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ رَمْيُهُ حَتَّى يُقَوِّمَهُ. وَكَذَا الدَّاعِي: يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَسْدِيدِ عِلْمِهِ وَتَقْوِيمِهِ وَلُزُومِهِ السُّنَّةَ.

(٢٠) رواه أبو داود (١٥١٠) عن ابن عباس.

(٢١) رواه أحمد (٢٨/٣٣٨) حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا

**وكل خيرٍ يأتي إن شاء الله لمن أكثر من هذه الأدعية، وحرص عليها وعلى أدعية القرآن والسنة.**

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق لنا وللجميع، وأن يجنبنا كل شر وضير، والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم الاثنين الموافق ٢٣ / من شهر ذي القعدة / لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.

---

وَأَزُمُّهَا غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ، وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ..».

ورجاله ثقات.

وله بعض الطرق ذكرها العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة»(٣٢٢٨).